العملة الخليجيّة بَين الطرح المشبُوه والرؤية الوَطنيّة

بقلم: ابو سعيد

بين الحين والآخر يخرج علينا احد الامراء او الملوك الخليجيين بتصريح يؤكد فيه حرص بلاده على توحيد العملة الخليجية . ويشرع ((القاء التهم على الآخرين الذين يقفون حجر عثرة في وجه هذا المشروع . ومؤخرا تناقلت وكالات الانباء تجدد الدعوة لاصدار العملة الخليجية الموحدة . بالطبع التي تختزن اراضيها ما لا يقل عن ٦٠٪ من احتياطي العالم من النفط ، تنتج حوالي ٢٤٪ من انتاجه . وبلغت قيمة الاستثمارات الاميركية فيه عام ٦٨ خمسة مليارات دولار ، والاستثمارات البريطانية في نفس العام مليارين دولار :

وهنا يعكس اهمية هذه المنطقة بالنسبة للدوائر الامبريالية . وقد ازدادت اهميتها بعد حرب اكتوبر ، حيث ارتفعت اسعار برميل النفط من ٣٫٤٥ دولار الى ١١٫٦٧ ، وبعض البلدان مثل الجزائر . كانت تبيع نفطها بسعر ١٤ دولار للبرميل . وقد اتت هذه الزيادة في وقت ارتفعت فيه نسبة التضخم التي يعاني منها الاقتصاد الغربي ، وشهد ميزان المدفوعات الامريكي هبوطا ملحوظا . واكثر من ذلك ارتفعت الاصوات الداعية الى تعميق ((التضامن العربي)) الذي شمل فيما شمل اسهام الدول الرجعية الخليجية في معارك اكتوبر ، بغض النظر عن شكلية او ضآلة حجم الاسهام ، لكن ذلك لا يرضي الدوائر الامبريالية ، وترى فيه بذرة خطر يجب محاربتها ، والعمل على عدم تقابلها وتطورها . لذا فقد وضعت نصب عينيها تفتيت هذا ((التضامن)) لانه يساعد، في افضل الاحوال ، على تحسين شروط عمالة الدول النفطية الخليجية العربية وهذا شيء لا يمكن القبول به .

واكتشفت الدوائر الامبريالية ان سياج الغزل الذي ينته على امتداد قرون من الاستعمار لهذه المنطقة ، بدأت تتجاوزه بعض انظمتها . اذا لا بد من اعادة بنائه لكن بشكل افضل . هنا ارتفعت الاصوات التي تتحدث عن خصوصية هذه المنطقة راجعة ذلك الى امتلاكها لخصائص مشتركة ، لم تستطع تلك الاصوات تقديم اي منها ، فيما عدى انتاج النفط . اذا اصبح النفط هو العامل المشترك الذي يحدد هوية هذا المجتمع .

وهذا ما يجعلنا ننظر الى العديد من دعوات ((الوحدة الخليجية)) بعين الريبة ونتعاطى معها من مواقع الحذر ، وذلك لاننا نرى فيها التوجهات التالية :

١ ـ اقتطاع هذه المنطقة من الامة العربية

استطاعت بريطانيا اثناء استعمارها للخليج العربي ان تحيطه بطوق (اقتصادي وسياسي وثقافي) عن الوطن العربي . والآن تحاول الامبريالية الامريكية الحفاظ على هذا العزل وتعزيزه وتعميق جذوره . وهي في ذلك تنظر الى المدى البعيد .. الى اليوم الذي تبرز فيه الشوفينيه الخليجية المبنية اساسا على ارتفاع دخل الفرد ، وتخوفه من المنافسة العربية التي تود مشاركته فيما من الله به عليه .

٢ ـ ربطها بالاقتصاد الايراني

في اكثر من مناسبة يؤكد شاه ايران . ان لهذه المنطقة ـ الخليج ـ الواقعة بين الشرقين الادنى والاقصى مميزات وخصائص مشتركة ، ولها ايضا دور على الصعيدين ((المحلي والدولي)) .

في هذا لا يحقق الشاه اقتطاع هذا الجزء من الوطن العربي ، وانما الحاقه بامبراطوريته . فايران هي الدولة الاكثر تاهيلا لان تسيطر على هذه المنطقة فيما لو نفذت المخططات المرسومة .

٣ ـ استمرار السيطرة والنهب الامبريالي

عندما تفقد منطقة الخليج العربي ، عمقها العربي ، وتبدأ السيطرة الايرانية عليها ، يرافق ذلك الحاقها بعجلة السوق الراسمالية . وهذا يعني سيطرة كاملة من قبل الراسمال الاجنبي ، الذي سيحول دون تطورها اقتصاديا ، وسيعمل على ابقائها فريسة للمتخلف ، وسوقا رائجة لبضائعه .

وجدير بالذكر ان اثناء احداث لبنان هربت العديد من الشركات الى الخليج العربي . وبدأ الحديث عن امكانية تحويل بعض مراكز الشركات الاخرى لتلك المنطقة . في ظل هذه الظروف تجددت الدعوة من اجل توحيد العملة الخليجية .

وطبيعي انه ليس عربي وطني يمكن ان يقف ضد توحيد عملة امارات الخليج العربي ، خاصة اذا كانت تلك هي خطوة اولى على طريق رؤية اقتصادية نحو الوطن العربي ، الا انه لكي تصبح هذه الدعوة حقيقية ، وضمن اطارها العربي ، وبعيدة عن اهداف الاستهلاك اليومي .. يجب ان يسبقها مجموعة من الخطوات اهمها :

• القضاء على الخلافات مع الحدود بين الامارات العربية :

نجحت بريطانيا اثناء استعمارها للمنطقة في انشاء دويلات ـ المدن على امتداد الساحل العربي من الخليج . واستطاعت من خلال ذلك تنمية الخلافات القبلية ورعايتها . وما زالت حتى الآن تسحب نفسها على عقلية الامراء . فجزيرة ((حوار)) ما زالت سبب خلاف بين البحرين وقطر ، وامارات الاتحاد ما زالت لم تستطع ان تزيل العديد من

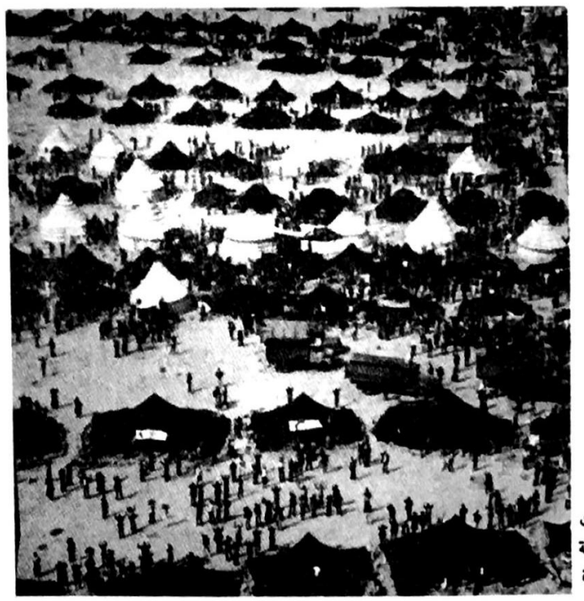

احد المعسكرات التي اقامتها حكومة المغرب لمشتركي المسيرة

لاجراءات الجمركية فيما بينها . والامثلة كثيرة على ذلك .

• الكف عن التنافس غير المبرر

ما زالت عائدات النفط الضخمة التي تصل وكالة الانباء الفرنسية التي اوردت هذا النبأ مشاريع موجودة في امارات اخرى ، فعلى سبيل المثال هناك مصنع للاسمنت في كل من قطر والسعودية ودبي . هناك ميناء ضخم بلغت تكاليفه ٢٥ مليون جنيه استرليني ، وآخر في دبي ، ويقام الآن ميناء جديد في الشارقة تقدر تكاليفه ب ٣٠ مليون جنيه استرليني . وللعلم فان المسافة بين الميناءين لا تتجاوز ٦ كلم . والطريق البرية بين الشارقة ودبي لا تتعدى ١٢ كلم تمتد على ارض منبسطة .

• وقف هدر الثروات

ما زالت عائدات النفط الضخمة التي تصل احصائيات ٧٤ الى ٢٠ مليار دولار في الكويت ، ٥ مليار دينار دخل ابو ظبي ... الخ . لكن اذا ما تساءلنا اين تصرف هذه العائدات ؟ فسنجدها في مشاريع كمالية وغير مبرمجة ، وحتى نستطيع ان نقول انها وهمية : مثل بناء مطارات متقاربة كلها صالحة لاستقبال طائرات الجامبو والكنكورد ... وانشاء محطات للتلفزيون الملون . واخيرا في شراء اسلحة معقدة لا تستحملها طبيعة هذه الانظمة .

• العمل من اجل انشاء السوق المشتركة

من الضروري العمل على انشاء سوق خليجية، بالطبع المقصود بهذه السوق ان تنحصر في اطار الامارات العربية . على ان يكون الهدف منها اعداد المنطقة من اجل الدخول في سوق عربية مشتركة متى ما اصبحت الظروف مؤاتية .

• التوجه نحو الوطن العربي

وهذا يجب الا ينحصر في الجانب الاقتصادي ، بل حتى على الصعيد الاجتماعي والسياسي . ان هذه الانظمة مطالبة مثلا باقامة علاقاتها الدبلوماسية مع اليمن الديمقراطية ، كما انها مطالبة ان تشجع الهجرة العربية الى هذه الامارات ، مع مراقبة وتقليص موجات الهجرة الاجنبية التي تساعد على مضاعفة الخلخلة السكانية التي تعاني منها هذه المجتمعات .

ربما كل هذه التوجهات لا تشكل كل الجوانب التي يجب الحديث عنها ، لكن نعتقد انها تمس العديد من الجوانب الاساسية . كما انها بلا شك تشكل تناقضا صارخا مع كل توجهات الانظمة الحالية بين الخليج العربي ، لكن تظل في نهاية المطاف رؤيتنا نحن لما يجب ان يسبق كل حديث عن توحيد العملة الحالية . ولكي تصبح هذه المقولة سلاحا بيد الجماهير بدلا من مطب تقع فيه .

■■

امير ابو ظبي في السيارة التي تتغلب على الكثبان الرملية ! .

لماذا قرّر الملك عودة المسيرة الخضراء ؟

اعلن الملك الحسن الثاني ، يوم الاحد ٩ تشرين الثاني الحالي ، في حديث تلفزيوني ، انه قرر اعادة المتطوعين المغاربة الذين قاموا بالمسيرة الخضراء الى طرفاية بالحدود المغربية ، بعدما اجتازوا الحدود ، واقاموا مخيما ضخما داخل اراضي الصحراء في مواجهة القوات الاسبانية ، حيث لم يكن يفصلهم عنها غير حقل الالغام الذي زرعه الاسبان . وقال الملك في حديثه : ان المسيرة ((آتت بثمار تزيد عما كنا نتوقعه)) واضاف : ((ان اسبانيا ليست فقط بلدا صديقا بل انها جارة وشقيقة)) .

بعد صدور قرار محكمة العدل الدولية في لاهاي (١٦/١٠/٧٥) تازم الوضع في المنطقة برمتها ، وبدا انها على حافة انفجار اكيد ، قد لا تحمد عقباه في حالة حدوثه ... خاصة وان اسبانيا كانت قد اعلنت ، منذ الوهلة الاولى ، انها ستتصدى للمسيرة بالقوة ، وان الجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب (بوليساريو) اكدت انها ستدافع عن اراضي الصحراء امام اي ((احتلال)) مغربي) وحدثت فعلا بعض الاصطدامات مع القوات المغربية) ، كما ان الجزائر ، التي تؤكد انه ليست لها اية اطماع في الصحراء ، صرحت اكثر من مرة ، انها سوف تتحمل مسؤولياتها لحماية الشعوب في حق تقرير مصيرها . وبالمقابل كانت المغرب تصر على ان مسيرتها الخضراء ستسير حسبما هو مقرر لها سلميا ، وان اسبانيا اذا اقدمت على اي عمل من شانه ((ابادة الجنس)) فستعرف كيف تدافع عن نفسها .

فما الذي حدث حتى يفاجيء الملك الحسن الثاني الراي العام العالمي بحديثه التلفزيوني ؟

بعد محادثات مديد بين المغرب واسبانيا ، والتي اعلنت هذه الاخيرة اثناءها انها ستنسحب من اقليم الصحراء بعد ان ((خذلتها الامم المتحدة)) ، وبعد محادثات اغادير بين الملك الحسن الثاني والمبعوث الاسباني ، اتفق الطرفان ، وبنتيجة الاتصالات الديبلوماسية المكثفة مع بقية الاطراف المعنية الاخرى : ان تنتقل ادارة الاقليم الى الامم المتحدة سيجنب الطرفان من اي اصطدام مسلح من ناحية وانه سيرضي الاطراف الاخرى، المطالبة بحق شعب الصحراء في تقرير مصيره ، من ناحية ثانية .

يبدو من هنا ، ان اسبانيا هي الرابح الوحيد ، اذ انها ضمنت بقاء شركاتها الاحتكارية ومعها رؤوس الاموال الامبريالية التي تساهم في استغلال ثروات الصحراء، اضافة لاحتفاظها بقواعدها العسكرية . واسبانيا منذ امد ، غير قصير ، لا تمانع في انسحاب بهذه الشروط ، وقد وجدت اخيرا هذه الفرصة ... حيث الانسحاب دون خسائر تذكر ، وهي البلد المتازم الذي لا يحتمل اي صراع عنيف في المنطقة او في غيرها .

اذا كانت هذه هي النتيجة الوحيدة فما هي ((الثمار)) التي حصل عليها الملك الحسن الثاني حتى يقرر عودة المسيرة ؟

١ ـ ان الملك ، اولا وقبل كل شيء ، بعد حملته ، داخليا خرج اقوى مما كان في السابق ، وهذا هو الهدف الرئيسي الذي شن على اساسه حملة ((استرجاع الصحراء)) . اذ ((طرد الاحتلال)) ، وهو ما تطالب به جماهير احزاب المعارضة ، التي ايدت الملك وبالتالي جمدت الصراع الطبقي في المغرب ، ولو مرحليا .

٢ ـ ان الملك اخرج طرفا رئيسيا كان يطالب بتقرير المصير و ((احترام رغبة السكان)) .

٣ ـ ثبت الملك حق المغرب في اعتبارها الطرف الأساسي الاول في قضية الصحراء ، وبالتالي ، على الاقل ، حصة اكبر في حالة اي اقتسام .

يبقى شيء آخر ، وهو ان الملك يبدو انه سيراهن على فترة ادارة الامم المتحدة للاقليم ، التي قد تكون كافية للعمل داخل الصحراء من اجل ضمان استفتاء لصالحه !